

سلسلة كتبيات شبكة بينونة



# وَاللَّيْلِ بِمَا جِئَ بِالسَّائِرِينَ

الشفيع

وَجِبْرِيلَ بْنِ سَلَمَةَ الطَّحَاوِي



وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ  
وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

# وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

الشيخ

و. محمد الرزق بن سلمان الطراوي

مكتبة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع و محفوظة

للمزيد من الكتب



www.baynoonanet.net

  @BaynoonanetUAE    @Baynoonanet

 [www.baynoonanet.net](http://www.baynoonanet.net)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين أما بعد،

أحبتني في الله يقول الله **عَزَّجَلَّ** في كتابه العزيز: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

عمران: ١٣٣-١٣٤.]

أيها القارئ الكريم! في هذه الآية الكريمة يأمر **عَزَّجَلَّ** بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، وما ذلك إلا إشارة إلى عظمها ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فهذه الجنة العظيمة؛ عظيمة الخلق أعدها الله للمتقين، فهم أهلها،

وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف الله **عَزَّوَجَلَّ** المتقين وأعمالهم فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقد أجرى الله **عَزَّوَجَلَّ** في الآية على المتقين صفات ثناءٍ وتنويه، هي ليست جماع التقوى الواحدة منها، ولكن اجتماعها في محلها في هذه الآية مؤذنٌ بأن ذلك المحل الموصوف بها قد استكمل ما به التقوى، وتلك هي مقاومة الشح المطاع والهوى المتبع.

ولنأتي معكم أيها الأحبة إلى تفسير هذه الآية الكريمة التي تؤدي بنا إلى الإحسان: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ التي ختم **عَزَّوَجَلَّ** الآية بعد أن ذكر هذه الصفات الثلاث بأنه **عَزَّوَجَلَّ** يحب المحسنين.

لنأتي إذن على تفسير هذه الصفات فنقول وبالله التوفيق:

قد جاء عن ابن عباسٍ تفسير قوله سبحانه: ﴿ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾: أي في العسر واليسر<sup>(١)</sup>.

والمعنى أيها الأحبة أنه من صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة، كثرة الإنفاق حتى إنه لم يختلف عندهم الإنفاق في حالة اليسر التي يصاحبها نشاطٌ، وسرورٌ للنفس، بل تعدى ذلك إلى الإنفاق في حالة العسر التي يصاحبها عادة الامتناع، وكراهية البذل، فهم إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل، ولهذا استحقوا ذلك الجزاء العظيم، والوعد بالفوز بجنةٍ عرضها السماوات والأرض جعلنا الله وإياكم من أهلها.

وكظم الغيظ أيها الأحبة المقصود به رده في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته، فضبطه ومنعه كظمٌ له. والغيظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح؛ وهو أصل الغضب فالغضب يتعداه بظهور آثار الغضب في الجوارح.

(١) جامع البيان للطبري (تفسير سورة آل عمران).

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾؛ أي إذا حصل لهم من غيرهم أذية تُوجب غيظهم وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام بالقول والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

وكظم الغيظ الذي هو ملك النفس عند الغضب من أعظم العباداة وجهاد النفس، وقد ورد في فضله أيضاً أحاديث منها قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (٢).

فالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول لنا هنا: أنه ليس معيار الشدة أن يكون الإنسان قوياً يصرع غيره من الناس بل إنما المعيار هو من يملك نفسه عند الغضب.

ومنه قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في فضل كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ

(٢) البخاري (٥٦٤٩)، مسلم (٤٧٢٣).



على أن يُنفذه؛ دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيره من الحور العين ما شاء» (٣) وإذا خالف المرء ما يأمره به غضبه، وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب، وتجاوز عنه إلى العفو وامتل ذلك قول الله عز وجل: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] واستحق أن يكرمه الله عز وجل في الدنيا بالعزة. كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً» (٤).

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ويدخل في العفو عن الناس العفو عن كل من أساء إليك بقول، أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم؛ لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله وعفى

(٣) صحيح الترغيب (٢٧٥٣)، أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٤٩٣).

(٤) صحيح الترغيب (٢٧٥٣)، أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٤٩٣).

عن عباد الله رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وكرامةً لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

والعفو أيها الأحبة عن الناس من أجل دروب فعل الخير، وهذا حيث يجوز للإنسان أن يعفو، وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الخلق العظيم، لا سيما من كان يعمل تحت يده عمالٌ، وخدم، فإذا ما وقع منهم غلط، أو خطأ، وهذا أمرٌ اعتيادي فمن منا معصومٌ من الخطأ؟ فإنهم يخطئون، يخطئون كثيراً لعوارض تعرض لهم من عدم فهم، أو تعبٍ يصيبهم، أو نحو ذلك، وصاحب العمل رقيبٌ عليهم، وقادر على الأخذ عليهم، فهنا يأتي الامتثال لما دعت إليه الآية، وندبت إليه فيكظم غيظه عليهم، بل ويعفو عنهم، ويكون قد بلغ بذلك رتبة الإحسان، فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف **عَزَّجَلَّ** أنه أعد للعاملين بها الجنة

التي عرضها السماوات والأرض وإحسانهم هو عملهم بها.  
ولنا في رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أسوةٌ حسنة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « ما ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يُجَاهِدَ في سبيلِ الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلا أن يُنْتَهَكَ شيءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (٥).

ثم ذكر **عَزَّوَجَلَّ** حالة أعم من غيرها، وأحسن، وأعلا، وأجل، وهي الإحسان فقال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾،  
والإحسان نوعان :

الإحسان في عبادة الخالق والإحسان إلى المخلوق.

فأما الإحسان في عبادة الخالق فقد فسرها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٦).

(٥) مسلم (٢٥٨٨).

(٦) مسلم (٨).

وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والديني إليهم، ودفع الشر الديني والديني عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم، وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور فقد قام بحق الله وحق عبده .

وقد ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** في الآية أنه يحب المحسنين، فعمّ مثل ما ذكرنا هذه الوجوه الثلاثة؛ الإنفاق، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وسواها من أعمال البر؛ لأن الألف واللام في المحسنين الأولى أنها للجنس، فيدخل فيه كل محسنٍ من هؤلاء وغيرهم اعتباراً بعموم اللفظ لا

بخصوص السياق، فيدخل تحته كل من صدر منه مسمى الإحسان، أيَّ إحسانٍ كان، وهذا يدلُّك أيها القارئ الكريم إلى أن الآية فيمن حقق أصل الفرائض، وزاد عليها من المندوبات، والأمور المستحبة، ألا ترى إلى سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المشهور حينما قال: « ما الإيمان؟ ثم قال ما الإسلام؟ » فذكر له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المفروضات ثم قال له: ما الإحسان قال: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »<sup>(٧)</sup>، فالإحسان هنا أعلى رتبةً من الإسلام والإيمان مع لزومه لهما؛ أي أنه لا إحسان بدون تحقيق رتبة الإسلام والإيمان.

فالوعد بالجنة هنا واردٌ للمتقين الذين أتوا بمثل هذه الأمور المستحبة، وغيرها مع تحقيقهم لما افترض عليهم وهنا نقل جميل للإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف

(٧) مسلم (٨).

المحسن: « والمحسن من صحح عقد توحيدهِ وأحسن سياسته نفسه وأقبل على أداء فرائضه وكفى المسلمين شره »<sup>(٨)</sup>.

أقول وهذا المعنى متجهٌ لما دلت عليه الآيات وقرناه آنفاً. فنسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** في ختام هذه المقالة، أن يجعلنا من المحسنين الذين حققوا هذه المعاني التي دلت عليها الآيات، فنسأله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعلنا ممن سارع إلى مغفرة ربه **عَزَّوَجَلَّ** وسارع إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض، وأن يجعلنا من المتقين، وأن يجعلنا من الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، وأن يجعلنا من المحسنين، والله تعالى أعلم و صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٨) مختصر تفسير القرطبي (تفسير سورة البقرة) ص (١٠١).

حقوق الطبع محفوظة



شبكة بينونة للعلوم الشرعية